حقوق الإنسان في ظل ثورة المعرفة

والعالم الافتراضي الرقمي- دراسة نقدية-

ا.م.د. طلال حامد خليل
جامعة ديالى/ كلية القانون والعلوم السياسية

https://doi.org/10.61353/ma.0050161

تاريخ استلام البحث ٢٠٢١/٣/٢٩ تاريخ قبول النشر ٢٠٢١/٤/٢٨ تاريخ النشر ٢٠٢١/٦/٣٠

مرت البشرية بالعديد من الثورات المعرفية التي كان لها عظيم الأثر في تغيير أنماط أحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ونعيش اليوم ثورة المعرفة والعالم الافتراضي التي كانت من أقوى وأسرع الثورات تأثيراً وانتشارا ، وعلى الرغم من إيجابيات ومنافع هذه الثورة في رقي الانسان وتقدمه وتواصله ، الا أنها باتت تستهدف حقوقه وكرامته وقيمه ، جاء البحث محاولة للتعرف على أهم الانتهاكات التي تعرضت لها حقوق الانسان ومنظومته القيمية في ظل التعاطي مع هذه الثورة ، اذ تكمن مشكلة البحث بعدم القدرة على الانفكاك من التعاطي مع هذه الثورة ووسائلها ، مما يستتبع فقدان قيم التأثير على حقوق الانسان، مثل حق الخصوصية وحقه بالعمل وحقه الثقافي وهويته الوطنية ، الامر الذي يستلزم ضرورة بناء الدفاعات الذاتية والمجتمعية للحيلولة دون تهاوي المنظومة القيمية وأحقوق الاساسية التي عرفها الانسان ؛ اذ توصل البحث الى نتائج باتت تؤرق المجتمعات في أحفاظ على الموروث القيمي والاستقرار المجتمعي .

Humanity has gone through many knowledge revolutions that have had a great impact in changing the patterns of political, economic, social and cultural life, and today we are living in the knowledge revolution and the virtual world, which was one of the most powerful and fastest revolutions affecting and spreading, and despite the advantages and benefits of this revolution in the advancement, progress and continuity of man His rights, dignity and values are aimed at him, and the purpose of the research is an attempt to identify the most important violations of human rights and his value system in light of dealing with this revolution, as the problem of research lies in the inability to break with dealing with this revolution and its means, which entails losing values and influencing Human rights such as the right to privacy, the right to work, the cultural right and its national identity, which necessitates the necessity of building self and community defenses in order to prevent the value system and basic rights known to man from collapsing.

الكلمات المفتاحية: حقوق الانسان، ثورة المعرفة، العالم الافتراضي، العالم الرقمي.

المقدمة

شهد العالم ثورات متتالية كان لها عظيم الأثر في تغيير جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، أولها الثورة الزراعية التي كان لها الأثر في تأسيس المجتمعات الصغيرة واتحاد الأسر ، وجاءت الثورة الثانية التي عرفت بالثورة الصناعية لتؤسس الى منتظمات فكرية وتنهي عصر الاقطاع ولتشدد على أهمية الفرد وكرامته الانسانية وحقوقه وحرياته العامة ، وتبني مؤسسات سياسية واقتصادية واجتماعية مغايرة لما عرف قبلها ، أعقبتها الثورة التكنولوجية (أو ما يعرف بالثورة الصناعية الثالثة)التي كانت تتويجاً للتطور التقني ومما يميزها عن سابقتيها ، بأن الثورة الزراعية والصناعية كانت تختص بجانب من الحياة الاقتصادية بعينه ، أما الثورة التكنولوجية فإنها اهتمت بقطاعات الحياة كافة، فضلا عن الزراعية والصناعية على حد سواء، استطاعت أن تقرب بين المتباعدات وتنتج مكوناً لا غنى عنه لأي منتج فكري .وتطالعنا اليوم الثورة الصناعية الرابعة والتي تعرف بالرقمية ، التي لم يشهد الكون ظاهرة تتغلغل في الحياة البشرية على نحو متسارع مثلها ، انها تقنية المعلومات والذكاء الاصطناعي، التي دخلت بوصفها عاملاً أساسياً في تقويض أنظمة ومؤسسات الحكم، وأصبحت وسيلة من وسائل الثورات وعمليات الاصلاح بعد أن نسجت خيوطها العنكبوتية، ودخلت الى البيوت على يد معظم ابناء المعمورة ، لتؤثر بشكل مباشر على الحقوق التي كفلتها الشرعة الدولية ، فضلاً عن تأثيرها على المنظومة القيمية التي تتصل اتصالاً مباشراً في حقوق الانسان وفهمها وضمانتها .

أهمية البحث

إن محاور البحث تعبر عن استشراف لمخاطر الثورة العلمية والعالم الافتراضي على حقوق الانسان مستندة الى وقائع علمية وعملية من التقدم المعلوماتي في عالم اليوم ، غير أن ذلك لا يعني نكران حقيقة الفوائد الجمة التي ستجنيها البشرية من هذه الثورة ، كذلك فإن الانشغال البحثي لا يعني معارضة التقدم وضد عالم المعرفة التي فتحت آفاقا للحياة المتقدمة التي تؤمن الرفاه للإنسان ، اذ الثورة التي حقق معها الانسان تلك القفزات النوعية في تطور التكنولوجيا على الانشطة والمستويات كافة ، دفع عالمنا لخطوات غير مسبوقة بالتقدم ولم نشهد له مثلا . وبذات الوقت فإن لهذه الثورة تداعيات على الحقوق والحريات التي كانت مرافقة للتغيرات (الثورية السابقة) ، اذ تمكنت المعرفة الرقمية من علاج الكثير

من الامراض ، لكنها بذات الوقت خلقت أمراضاً معدية ، وقد تمكنت من كشف فيزيقيا شبه الموصلات ، ولكنها كشفت فيزيقيا القنبلة الهيدروجينية ، ويمكن للثورة المعرفية ان تقلل من الروتين البيروقراطي ، غير أنها لا تكترث ما اذا كانت البيانات جمعت وفقا للقوانين ، ام انها بلا قانون للتدخل في خصوصيات الناس، أو بان تؤول التشريعات القانونية وفقاً لهواها.

مما تقدم يحاول البحث لفت النظر الى خطورة الثورة المعرفية وعالمها الرقمي على حقوق الانسان ومنظومته القيمية ، ليقدم نقداً يثير الانتباه لضرورة السيطرة الاسرية والمجتمعية والدولية لتلك المخاطر ، بعد أن انغمس الجيل الجديد لعالم افتراضي بعيد عن عالمه قد يؤدي به الى الاغتراب والاستلاب الاجتماعي .

إشكالية البحث

إن طبيعة الدراسات التي تعتمد على معطيات حاضرة يحاول الباحث ربطها بمعطيات من الماضي من خلال الربط والاستشراف لإعمال العقل لوضع التصور لما ستكون عليه تفاعلات متغيرات العنوان ونتائجها في حال وضوح متغيرات العنوان ، غير ان متغير المعرفة الرقمية والعالم الافتراضي لم تتضح بعد صورته الكاملة واتسامها بالضبابية على الرغم من وعودها التي قد تكون لها الدور الاعمق في ما سنقوم به من عملية تحليلية ،فضلاً عن هذه الثورة تدعي ضمانتها لحقوق الانسان ، إذ الاشكالية تكمن في عدم وضوح ومضادة معرفية للعلاقة بين الثورة المعرفية وعالمها الافتراضي وحقوق الانسان ، الذي يستدعي الاجابة على التساؤلات التالية :-

١- كيف ينبغي أن نفهم تداعيات ثورة المعرفة والعالم الافتراضي على حقوق الانسان ومنظومته القيمية في عالم بات بلا سيادة ولا يمكن العيش دون مؤثراتهما ؟

٢- ما الحقوق الاساسية للإنسان التي باتت تتأثر في ظلهما ؟

٣- ما نتائج هذه الثورة على القيم الانسانية والسلوك الاجتماعي ؟.وكيف يمكن وضع الخطط لتقليل آثارهما ؟

فرضية البحث

(لكل ثورة معرفية آثار في ميادين الحياة كافة ايجابية وسلبية ، وكذلك ثورة المعرفة والعالم الافتراضي سيكون لها آثار على أهم الحقوق والحريات المتصلة بكرامة الانسان وقيمه)

منهجية البحث

إن منهجية البحث تعتمد الاستقراء الذي ينبغي معه تتبع الجزء أو الجزئيات وصولا للكليات ، ذلك لأن بحثنا يسعى لدراسة حقائق جديدة من خلال جمع البيانات والمعلومات لاكتشاف كنه الصلة مع ما سنخرج به من أحكام مرتبطة بتوثيق المصادر التي تستقى منها المعلومات، وصولاً لإثبات او نفي فرضية الدراسة ، ومن المنهج الاستقرائي الذي نستشرف به المستقبل ، سيعيننا المنهج الوصفي التحليلي في ذات المهمة .

هيكلية البحث

تم تقسيم البحث الى مبحثين ، في المبحث الأول سنناقش ـ ومن خلال مطلبين ـ دلالات مفهوم ثورة المعرفة والعالم الافتراضي وسلطتهما ، فضلا عن الآثار التي وضحها التعاطي الفكري للثورات المعرفية على المجتمعات ، وفي المبحث الثاني سنخصص المطلب الاول لبيان أثر ثورة المعرفة على حقوق الانسان وحرياته العامة ، وفي المطلب الثاني سنتعرض الى أزمة المنظومة القيمية الإنسانية كأحد تداعيات ثورة المعرفة والعالم الرقمي، خصوصا وأن للقيم دوراً في الحقوق والحريات لا يمكن اغفالها ، وفي خاتمة البحث سنضع التوصيات الكفيلة بتقليل الآثار الناجمة عنها .

المبحث الأول : ثورة المعرفة والعالم الافتراضي بين القبول والنقد (الدلالات النظرية)

إن عالم اليوم وما صحبه من تطور في نظم الاتصال والمعلومات والفضائيات ، شهد انتقالة كبرى في فهم آخر للذات والتعبير البشري عنها، وعن علاقاتها المتشابكة غير المحسوسة ، واتصافها بالتغير الدائم ونموها وتعقيدها في كل لحظة ، فهي مصدر خير وفير تنعم البشرية في ظله بالصحة والتعلم والابتكار والتفاعل العلمي والثقافي والفني والادبي ، وبذات الوقت قد تكون مصدراً للشرور عندما تغيب الهوية وتميع الثقافة ، وتهمش القيم ، وبين خيرها وشرها خيط رفيع . فما ثورة المعرفة التي يدور بحثنا في فلكها ؟ وما الآراء الفكرية النقدية التي صاحبت الثورات المعرفية ؟

المطلب الأول: مفهوم سلطة المعرفة والعالم الرقمي

تعد المعرفة بمفهومها العام فرعاً من فروع الفلسفة تناقش المشكلات الرئيسة الثلاث ، الأول : أصل المعرفة وطبيعتها ، وثانيا : الطرق التي تتحصل بها المعرفة والاسس التي يبنى عليها ذلك التحصيل ، وأخيرا : مناهج البحث العلمي وشروط سلامتها، ولكونها كذلك وعلى الرغم من الاتفاق على هذا المفهوم العام فلسفيا ، إلا أن المعرفة لم تجد اتفاقاً في بيان دلالاتها وطرق تحصيلها ، والمنهج البحثي الموصل لها ، إذ كان لكل مفكر طريق للوصول اليها ، ولعل هذا ما يزيد من الارباك والضبابية التي يسبغ بها المفهوم .وسنحاول تحليل أهم الطروحات الفكرية الخاصة بها .

لقد اختلفت الرؤى في تحديد مفهوم المعرفة فمنها ما ذهب الى أنها ادارك لما هو غير مدرك وتحصيل التعرف عليه حسا وعقلا ، واذا كانت كذلك فإن العلم أوسع من المعرفة ، بل أن المعرفة تشكل جزءاً من الكل وهو العلم ، إذ يصح القول بأنني عرفت الله من خلال ادراك كنه مخلوقاته وتسييره لهذا الكون العظيم ، ولا يصح القول بأنني علمت الله ، إذ العلم ادراك كنه المعلوم ، وبما أن الله جل في علاه مطلق وعقل الانسان محدود فليس باستطاعة المحدود ادراك المطلق . فالمعرفة نسبية بين الذات العارفة والموضوع المعروف، وان العقل الانساني لا يمكنه ان يحيط بكل شيء ، وحتى معرفته بالشيء فإن هذه المعرفة تصب بقوالب الانسان الخاصة .

إن المعرفة عند القدماء جاءت بعدة معان: انها ادراك الشيء بأحد الحواس بسيطاً كان ام جزئيا ، ولها عند المحدثين معان أربعة : الأول : حدوث صور الشيء في الذهن ، والثاني :الفعل العقلي النافذ لجوهر الشيء لتحصيل حقيقته ، والثالث : ما تتضمنه المعرفة بنتيجتها الاولى ، والرابع تحصيل المعرفة وان كانت بدرجات متفاوتة يكون ادناها المعرفة الحسية بمعرفة الشيء دون معرفة ماهيته ، واعلاها المعرفة العقلية سواء كانت تامة أم غير تامة .([1])

ما تقدم أكده افلاطون في نظريته المعرفية التي تتحصل عنده في طورين ، الأول : حصر المعرفة بان ليس لها شكل آخر سوى الاحساس ، والثاني : ما يتحصل على هذا الاحساس واعمال العقل للوصول الى حقيقة او حكم صادق ، والحكم الصادق يقع على الخاصية المميزة أو البرهان الذي يؤكد المعرفة بفرضها الحسي .([2])

يبدو أن المعرفة شيء نسبي ، ولنسبيتها يذهب جون ستيوارت ميل بأنها لا تتحصل الا بوساطة، ويكون الوسيط مرتبطاً أوثق الارتباط بالشعور بها، فهي مدرك حسي أول الأمر ، ثم ينتقل ليكون حقيقة معرفية ، ولأن العقل لا يستطيع معرفة كل شيء فاذا عرف بعض الاشياء لم يستطع الاحاطة بها احاطة تامة .([٣])

اذن المعرفة ابتداء تتفق اتفاقاً كلياً مع الفكر؛ كون الاثنان يتحصلان بإعمال العقل واشتغالاته ، فضلا عن أن أحدهما نتيجة للآخر ، فالمعرفة تتحصل من خلال الفكر ، والفكر نابع من المعرفة ذلك لوحدة عنصر التحصيل وهو العقل .

لم تقف حدود دلالات المعرفة فحسب ، بل الى كونها سلطة ، اذ انتقل مفهوم السلطة من التقليدي الذي تم تناوله بجانبه السياسي الذي مفاده تثبيت السلطة في مؤسسة الدولة وتشخيصها في الدولة بوصفها المالك لها والمستحوذ عليها وعلى المجتمع بأكمله سواء الأفقي أم العمودي ، وظل هذا الفهم ردحاً من الزمن الى أن جاءت أفكار اليسار الذي أعاد السلطة بوصفها من المفاهيم التي يعاد التفكير بها على الرغم من كونها كانت أسيرة التفكير الماركسي الذي يفسر الدولة وسلطتها من واقع التقسيم والطبقي وصراعه والحاجة اليهما ، ثم ظهر التيار المخالف ممثلا بالفرنسي (ميشيل فوغو ١٩٢٦-١٩٨٤) اذ أخذت السلطة مفهوما جديدا يتمثل بان السلطة علاقة قوى وان كل ما يتصف بعلاقة القوة هو سلطة ([٤]) ، ومنه نفهم بان البحث عن السلطة لا يتحدد في ماهيتها بل ايضا في الكيفية التي تتحقق بها السلطة وظهورها للوجود وتعبيرها عن نفسها .

إن ملكية السلطة العائدة لطبقة – وفقا للتفسير الماركسي – لم تكن في نظر فوكو بهذه المعيارية الضيقة ، فهو وإن كان لا ينفي الطبقات وصراعها يرى ضرورة رسم صورة جديدة للسلطة بوصفها استراتيجية أكثر منها ملكية ، إذ لا ترجع آثارها ومفاعيلها الى تملك ما ، بل تعود الى تدابير ووسائل وتقنيات وأعمال . إن السلطة ممارسة أكثر من كونها تملكاً واحتفاظاً للطبقة السائدة والمحتكرة ، فضلا عن مجموع مواقعها الاستراتيجية لتتمثل بالأخير في اشخاص ليسوا ذات الاشخاص ومفاعيل ليست ذات المفاعيل التي عُودنا عليهم الفهم التقليدي والفكر الماركسي، لتصبح نقاط مواجهة لا حصر لها ،([٥]) وخلاصة القول إن وظيفية (فوكو) تلتقي مع النظرة الحديثة للسلطة التي تنظر الى موقع الشيء بالنسبة للأشياء الأخرى ولا تعده موقعاً متميزاً للسلطة وكمصدر لها ، فضلا عن عدم قبولها التحديد الدقيق لموقعها ،إذ أن دلالات السلطة لا تفهم بالسؤال عن ماهيتها ، بقدر معرفة الوسيلة

التي تمارس بها السلطة ، ولأن المعرفة باتت اليوم أداة من أدوات ممارسة السلطة انطلق مفهوم (سلطة المعرفة) ، وهنا نرى ظهور مفهوماً جديداً للفضاء الاجتماعي يتماثل في جدته مفهوم الأمكنة الفيزيائية والرياضية الحالية، وهو ما يتعلق بتطور الاتصال ونظم المعلومات والعالم الافتراضي .

أما العالم الافتراضي الرقمي ، فقد كتب الروائي البريطاني (آرثر كلارك ١٩١٧– ٢٠٠٨) كتابه (الواقع والنجوم) في أربعينات القرن الماضي متخيلاً وجود مدينة مستقبلية يمكن لأعضائها ان يجتمعوا من خلال أجهزة الكترونية رغم بعد المسافة بينهم، ومناقشة كل ما هو مهم وكل ما تحدثهم به عقولهم ، واعتبرت أطروحاته هذه حالمة اكثر من اللزوم ، غير ان خيال الكاتب أصبح حقيقة في عالمنا اليوم ، الذي أصبح فيه العالم الافتراضي مسيطراً على ذواتنا والذي يشير الى كل الوسائط الجديدة التي تحاكي الواقع من خلال سيل من الصور والرسائل والمستوعبات الرقمية وغيرها من خلال الشاشات (الحواسيب ، الفضائيات ، الهاتف المحمول ، الانترنت) متناهية للوقت والمسافة . لقد أحدث هذا التطور المعرفي تغيرين هامين في حياتنا الاول : علاقتنا مع الفضاء ، والثاني علاقتنا مع اللغة وسبل تواصلنا من خلال لغة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية لا تعتمد المشافهة، ولا تفترض أن يكون المتواصلون وجهاً لوجه وبمكان، واحد ليغيب في ظل العالم الافتراضي (الزمكان).

المطلب الثاني: الرؤى النقدية لآثار ثورة المعرفية

لقد أضحت المعلومات وسلطة المعرفة القوة التي تتحكم في مقدرات الشعوب وتعيد صياغة مفاهيم القوة في العالم ، إذ غدت الشعارات الدولية تستجيب لخدمة هذه المصالح ، مثل شعار انتقال السلطة من مفهوم القوة البدنية الى القوة العقلية ، وصناعة الميديا واعادة تشكيل المتطلبات الاساسية للحياة متمثلة فيما اطلق عليها (Media Interacy) أي الثقافة الاعلامية وتفكيك الشعوب من الداخل بأيدي أبنائها عن بعد ، وغيرها من الشعارات التي تكمن وراءها أهداف خفية تتنوع بين السياسية والتجارية والاقتصادية ، المعرفية .(٦)

إن التكنولوجيا وبيانتها الرقمية أصبحت المحفز الحقيقي للابتكارات والاختراعات حاضراً ومستقبلا ، إذ أن العالم الرقمي خلق نقلة استثنائية في الحضارة الانسانية بما يمثله من أفق حافل وشامل يمكن البشرية من تحقيق ثروات من الفرص والنجاحات ، ومما لا شك فيه أن (الانترنت) الذي أصبح جزءاً من وجودنا البشري فتح المجال على مصاريعه لتطور

الثورة الصناعية المعرفية الرابعة التي دخلت وستدخل في تطوير القدرات الانسانية ومعالجة الأمراض وتسريع الذكاء والسيطرة على العمل وترويج المنتجات ، إلا أنها لا زالت تشكل خطراً على الحقوق الاساسية للإنسان وحريته .

لقد باتت التكنولوجيا وطيدة العلاقة بالثقافة والحرية والحقوق ومجمل العلاقات الانسانية وأنماط إدارة الحياة الاجتماعية ، ذلك لأنها أسهمت في تحولات كبرى للسياسات حتى اصبحت وفقا لـ (ايتيان دو لا بويسي ١٥٣٠-١٥٦٣) (٧) (العبودية المختارة) ، أو العبودية الطوعية ، اذ انه وعلى الرغم من أن دي لابوويسي لم يكن يقصد التطور والتقدم العلمي الذي يجعل من الانسان عبداً باختياره لوسائله وآليات عمله ، بل ناقش أمثلة كثيرة عن الحكام المستبدين والطغاة وحاشيتهم في العصور القديمة اليونانية والرومانية ، ويطرح مسألة شرعية الحكام الذين أطلق عليهم (أسيادا) أو (طغاة) في ظل خضوع الشعب بإرادته لطغيان الحاكم لأنه استطاع أن يقنع مجموعة من الشعب بالفتات التي يرميها اليهم، وخاصة المقربين فيقبلون العبودية طواعية، بينما يكون الشعب مكرهاً على اساس هرم من الطغيان ، إذ يقوم الطاغية بإخضاع خمس من الاتباع ، ويخضع هؤلاء مائة غيرهم ، والمائة تخضع ألفا وهكذا يقبل الشعب ويعطي الشرعية للطغاة .(٨) ، وهو ما تسير عليه الثورة الرقمية والمعرفية من خلال جذب مجموعة سرعان ما تجذب لها جماعات متناهية العدد .

وجاء عالم الاجتماع الألماني (هربرت ماركوزة ١٨٩٨-١٩٧٩) ليعبر في ستينات القرن الماضي في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد)، حقيقة العبودية الطوعية بشكل مغاير لما طرحه (لا بويسي) وبطريقة اقرب لبحثنا ، اذ انتقد المجتمعات الصناعية المتقدمة التي كان يؤمل منها تعزيز حقوق الانسان وحريته لقيام مجتمع متكامل متكافل لما يتمتع به من مؤهلات عقلية ومعرفية تطور الإنسان وتعينه على إثبات اجتماعيته وجماعيته ، إلا أن هذه المجتمعات – حسب مارركوزة – كانت عاملاً في اغتراب الإنسان وسلبه أبعاده الروحية؛ لأنها أسهمت في تغيير منظومة القيم لدى الأفراد وحولتهم إلى أفراد تغلب عليهم النزعة الاستهلاكية، وأوصلتهم للقناعة بالقيم التي سوقها رجال الأعمال والشركات الكبرى وحملات الدعاية والإعلام – عندما صورت المجتمع المعرفي المتقدم بانه المجتمع الذي يكفل السعادة والرفاهية للأفراد – إلى أفراد يجدون أنفسهم في مقتنياتهم ، إذ السعادة في السيارة التي يركبها والمنزل والأثاث الذي يقتنيه ، فحولت

الكماليات إلى ضروريات وتجذير عالم الأشياء في تفكير الإنسان مما انعكس على القيم التي كانت سائدة قبل ذلك إلى قيم السوق وضرورياته ، حتى أصبح الإنسان لا يستطيع نقد المجتمع وقيمه السائدة لأنه سيتهم باللاعقلانية ، وخلاصة القول إن عالم المعرفة الذي أنتج المجتمعات الصناعية المتقدمة كان بنيانه الحضاري شاخصا وواضحا للعيان إلا أن تكلفته جاءت على حساب الإنسان وقيمه وحريته وحقوقه وتمكن ذلك المجتمع من عقلنة اللاعقلاني ، فمن يتصدى له بالنقد حرصا على إنسانيته وقيمه يتهم بعدم الواقعية واللاعقلانية .(٩)

إن ما هدف اليه ماركوزة هو ايضاح الوهم الذي بات يعيشه الانسان في ظل العالم المتقدم صناعيا ، اذ انه – الانسان – يتوهم بأنه حر، ولكنه مستعبد للأشياء ومستلب الارادة لتحكمها به، ويذهب ماركوزة الى أبعد من ذلك بقوله (إن التكنولوجيا بدل ان تحرر الانسان بوصفها الشكل العالمي للإنتاج المادي اصبحت عقبة أمام تحرر الانسان بتحويله الى أدوات مسيطر عليها) ويؤكد بانها باتت سياسة قبل أن تكون أي شيء آخر ، لأن منطقها السيطرة والهيمنة . فضلاً عن كون الانسان قد استغنى عن حريته بوهم الحرية ، إن الانسان في العصر الصناعي المتقدم يختار بين تشكيلة كبيرة من البضائع التي يكفلها عالم الأعمال فأصبح كالعبد الذي يوهب الحرية بناء على اختيار سيده (فهل هو حر ؟) ويجيب بأن الحرية والحقوق المنظمة من قبل مجموع اضطهادي هي أداة قوية للسيطرة .

إن عصر المعرفة والعالم الرقمي دفع العديد من الكتاب لبيان الآثار المحتملة لها ، ففي عام ٢٠١٦ صدر للمحللة النفسية الفرنسية (الزا غودار) كتابها الذي عنونته (أنا أوسيلفي أذا أنا موجود – تحولات الانا في العصر الافتراضي) ، إذ بينت بان العصر الحالي هو عصر الاثار المدمرة التي ستخلفها الثورة الرقمية على الانسان ، وعلاقته بالزمان والمكان وعلاقاته الاجتماعية مع الاخرين التي شكلت هويات موزعة على أثير فضاءات لا يكون له فيها للواقعي إلا النزر اليسير، والذي يوصف بأنه البوابة للولوج للعالم الافتراضي اللامتناهي لتنتج إنساناً مزوداً بالافتراضي والبدائل الصناعية، غير انه مفرغ من الداخل يتحرك ضد نفسه وضد الآخرين ، ليختفي الحلم والفعل الاستعاري لتحل محله الرغبة ، الاتصال الدائم ، المتحقق بلحظته ، يكون مصدره الشاشات (التلفاز ، الحاسوب ، الهواتف النقالة) الأمر الذي عمّق غربة الفرد ليبدو الواقعي والانسان كلاهما ناقصا ولا يمكن تعويضه الا بالافتراضي .(١٠)

وفي عام ٢٠١٩ صدر للباحثين الفرنسيين (مارك دوغان و كرستوفر لابي) كتابهما (الإنسان العاري – الدكتاتورية الخفية للرقمية) يقدم الباحثان تعريفاً للإنسان (العاري) (هو القدرة على اختزال الإنسان إلى مجرد مستهلك متعالي على قيم مجتمعه ورافضاً لها في ظل انغماسه في العلاقات الافتراضية والتسوق والتجارة، وصولاً لقضايا الأمن والدفاع في ظل سيادة دكتاتورية خفية ناعمة لها عميق الأثر في توجيهه) ، إذ ان عالم المعرفة بات يشكل واقعاً مزيفاً مثلما فعلت الأيديولوجية سابقا ، إذ انه عالم لا يمكن إدراكه إلا من خلال عالم افتراضي عمق غربة الإنسان وسلخه من قيمه وواقعه واستدرجه إلى نشوة فقد معها حقه بالخصوصية ،إذ يذكران (بان شركة ابل وميكروسوفت وغوغل يمتلكون ٨٠% من المعلومات الرقمية الشخصية الخاصة للإنسانية ،ويطلقان عليها منجم الذهب الأسود الجديد).([١١])

فعوض عن بحث الناس في الحياة الحقيقة عن أصدقاء حقيقيين، راحوا يلهثون في الشبكات الاجتماعية وراء (صداقات) وهمية خالية من أي دفء إنساني. وهذا دليل آخر على أن الفضاء الحميمي يجنح إلى الاختفاء ، فالحياة الخاصة أصبحت شذوذاً ، فضلا عن انه أصبح في جيب كل منا جاسوس عليه هو الهاتف المحمول ما يعادل عميلا في (جهاز ستازي) ([١٢]) يوثق بكل دقة تحركاتنا ويرصد كل علاقاتنا ، ويدس أنفه لمعرفة ما نكتبه وما نتواصل به ، وما يرسل الينا عبر قنوات التواصل الاجتماعي والايميلات الشخصية والرسمية وصورنا ومستمسكاتنا التي نخزنها في حواسيبنا وهواتفنا النقالة .

المبحث الثاني: آثار الثورة الرقمية على حقوق الانسان

على الرغم من أن أي دولة لا يمكن ان تتخلف عن السباق الذي يتجه اليه عالم اليوم ، غير ان تأثير المعرفة والثورة الرقمية تلقي ظلالا على الحقوق والحريات . فاذا كانت الايديولوجيا بالماضي دليلا وعنوانا سياسيا لتكون الدولة القومية تمد الشكل الامثل للمعادلة السياسية والتنظيم السياسي ، ليتقارب معها مفهوم السيادة فيشكل جوهرها ، فإن ثورة المعلومات المعرفية جعلت كل ما تقدم من عداد الماض ، ذلك لأن هذه الثورة تجاوزت القوميات وتخطتها وصيرت حدود الدولة وسيادتها موضع عجز بفعل الوسائل الرقمية التي تطورت بشكل غير مسبوق كالأنترنت والفضائيات التي تدار من قبل شركات عالمية، من

اهم سماتها عبور موادها الفضاء لتدخل في كل بيت وتؤثر في قيمه وسلوكه الاجتماعي ، فهل لهذه الثورة المعرفية تأثير على حقوق الانسان ؟

المطلب الأول : أثر العالم الافتراضي والثورة الرقمية على الحقوق والحريات

لعل من الصعب الاحاطة بمؤثرات الثورة الرقمية على الحقوق والحريات بأنواعها واصنافها كافة في بحث محدود ، لذا سنركز على اهم الحقوق التي تتصل اتصالا مباشرا بالإنسان وتؤثر بشكل أو آخر على حقوقه وحرياته . واهمها التالي :-

١- الحق بالخصوصية

إن استفحال سلطات العالم الافتراضي التي امتدت لتحتل كل مساحات الإنسان وطغت على علاقاته ومحيطه وفضائه باتت تنتهك أهم حق من حقوقه وهو حق الانسان في الخصوصية ، ذلك الحق الذي كفله البند الثاني عشر للإعلان العالمي لحقوق الانسان (لا يجوز تعريض أي شخص للتدخل التعسفي في خصوصياته أو في شؤونه الاسرية أو المنزلية أو في مراسلاته ، ولا حتى اثارة حملات تستهدف شرفه وسمعته ، ويمتلك كل أنسان الحق في الحصول على الحماية القانونية ضد مثل هذا التدخل أو تلك الهجمات) وجاء في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية المادة / ١٧ (لا يجوز تعريض أي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته أو شؤون أسرته أو بيته أو مراسلاته ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته ومن حق كل شخص ان يحميه القانون من مثل هذا التدخل أو المساس) ، فضلا عن ما جاء في الاتفاقية الاوربية لحقوق الانسان المادة ٨ / ١ (لكل انسان حق احترام حياته الخاصة والعائلية ومسكنه ومراسلاته .

وجاء التعليق العام رقم ١٦ الصادر عن لجنة الحقوق المدنية والسياسية في الأمم المتحدة بأن هناك لكل شخص الحق بحماية الحياة الخاصة، وان تعتمد الدول الاطراف تدابير تشريعية وغيرها من التدابير اللازمة لأعمال الحظر المفروض على تلك التدخلات والاعتداءات فضلا عن حماية هذا الحق .

لقد ربط فقهاء القانون الحق بالخصوصية بفكرة الهدوء أو السكينة أو الخلوة ، وجميعها مرادفات تدل على معنى واحد هو حق الانسان أن يعيش حياته ولو بصفة جزئية بعيدا عن المجتمع مع ادنى حد للتدخل من قبل الغير ، فعرفه الفقه الامريكي بانه (حق في

أن يترك المرء وشأنه) وعرفه الفقه الفرنسي تعريفاً لا يختلف كثيراً عن المعنى الامريكي ، اذ عرفه الفقيه كاربونييه بأنه (حق الشخص في المجال الخاص لحياته بحيث يستطيع العيش بمنأى عن الآخرين ، أي الحق في احترام خصوصيته الطبيعية) وعرفه كابان بانه (حق كل شخص بأن يعيش بسلام وسكينة)([١٣])

إن العالم الافتراضي الرقمي يمارس صوراً متعددة من الانتهاكات لهذا الحق ومنها:-

١- نشر واعلان مفردات الحق في الحياة الخاصة في وسائل الاعلام والاتصال المختلفة دون موافقة الشخص الصريحة أو الضمنية ، والتلاعب بالبيانات الشخصية أو محوها عن طريق اشخاص غير مصرح لهم بالقيام بذلك .

٢- انتهاك خصوصية الافراد بوسائط التنصت والتسجيل الحديثة والمراقبة الالكترونية بالأقمار الصناعية والكاميرات الرقمية المحمولة وعن طريق الهواتف المحمولة .

٣- انتهاك حرمة المراسلات باختراق الحساب الشخصي وتعريض ما يخزنه الشخص من قضايا تخص العمل والعائلة للتلف أو الابتزاز .

٤- معرفة نقاط القوة والضعف وميول الشخص الثقافية والموسيقية والفنية والرياضية مما يسهل استدراجه والسيطرة عليه رقميا . اذ ان مؤشرات عديدة تبين ان الموضوع يتعلق بإنسانية جديدة تفرض ذاتها على الفرد والمجتمعات من خلال ادخال (أنا أعلى) في الآلات تتحكم في طريقة تفكير الانسان وفي اختياراته وذوقه ليرضخ ويحقق (العبودية الطوعية).([١٤])

لقد أصبح اختراق حياة الناس اليومية بدعوى تسهيل حركتهم وعلاقاتهم ، مما سمح لها بالتحكم في ميولهم ورغباتهم وذلك بإنتاج أنظمة أكثر دقة وشمولاً ، الذي اطلق عليه (جيل دولوز ١٩٢٥-١٩٩٥) ([١٥]) (مجتمعات الرقابة) ، اذ ينبه دولوز السعي الذي تتبناه السلطة لإرساء نظاما للهيمنة على الافراد ، ومؤسسات مثل العائلة ، المدرسة ، الجيش ، المعمل ، المستشفى ، السجن ، كلها أجهزة تعمل لأن تلعب دور المراقب والمتحكم في الأفراد، ليصبحوا مجرد اجساد مأجورة تتسم بالطوعية ومركبة في قوالب لا يتمكن الفرد من الفكاك منها ([١٦]). ولم يخطر على بال دولوز بأن ما نعيشه اليوم يعبر تعبيراً دقيقاً عن مجتمعات الرقابة التي حذر منها ، انها اليوم الرقابة الرقمية ومجتمعات الحواسيب وأجهزة المراقبة عن بعد والضبط السيبراني التي تزحف لتتقدم على المؤسسات التأديبية القديمة وفق

نهج استعبادي ناعم وماكر في الوقت ذاته ، وصارت تحجز الافراد بقساوة أشد ولكنهم يعيشون معها بمفارقة غريبة اساسها المتعة والخضوع ،المفارقة الغريبة أن هذه الثورة الافتراضية بإنجازاتها الكبيرة لم تقد كما كان مؤملاً إلى تجدد الإنسانية، وإلى بلورة المزيد من القيم التي تحتفي بروح الأخوة والصداقة، بل أعلنت عن ميلاد (فرد فائق) يتحرك ضد نفسه وضد المجموع ضمن ممكنات (واقع فائق). إنه إنسان مزيد بالافتراضي والبدائل الصناعية، ولكنه مفرغ من الداخل.

لقد اتخذ الاتحاد الأوربي خطوات لكفالة الحق في الخصوصية مع مواجهة الثورة المعرفية مستحدثا قانون (القانون العام لحماية المعطيات الشخصية) وهو قانون جديد يضمن حماية البيانات والخصوصية لجميع الافراد المتواجدين داخل الاتحاد ، اذ لا يمكن وفقاً للقانون (نقل بيانات الاشخاص عبر الحدود الا إذا تم نقلها لبلد منح وضع كفاية أو عندما تكون آلية نقل البيانات قانونية ، ويتيح القانون العام لحماية البيانات المزيد من الرقابة الفعالة وانفاذ آليات القانون لحماية وضمان حقوق المستخدمين ، والذي سيمكن بقدر ما من تحكم المستهلك ببياناته وحمايتها) .([١٧]) ، والملاحظ أن الدول العربية ما زالت قوانينها تحوي على الكثير من الثغرات في ظل تزايد كمية البيانات الشخصية التي تعالج وتخلق المزيد من وحدات التخزين والابتكار المستمر لأساليب جمعها وحفظها واستثمارها ، وقد يقول قائل إنها مجرد بيانات عادية لا ضير في جمعها ، لكن الاكيد ان تقنيات المعالجة الحديثة التي تتمكن من معالجتها وتقاطعها الى جانب معلومات أخرى تجعلها معبرة جداً، وبالتالي كاشفة وخطرة لخصوصيات وحياة المستخدمين ([١٨]) مما يديم انتهاك الحق بالخصوصية .

إن الأدوات والبرامج والتطبيقات وشبكات التواصل الاجتماعي أصبحت جزءاً من حياتنا اليومية ، وأداة لتسهيل عمل الافراد والاشخاص المعنويين في القطاع العام والخاص ، وحولت تفاصيل الحياة اليومية لكل شخص طبيعي الى مصدر معلومات ذي قيمة ، الامر الذي يستدعي في هذا السياق تشريع القوانين لحماية البيانات الشخصية والحقوق الاساسية للإنسان .

٢- الحقوق الثقافية

إن التطورات النوعية للعلم والمعرفة أصبحت مسيطرة سيطرة تامة على الطبيعة ، وهي تعمل اليوم للسيطرة على الإنسان والسيادة في نسق قيمي واحد ، بعد أن توصلت إلى

القدرة على إشاعة وإيهام الناس بادعائها القدرة للتحكم بالإنسان وتوجيه سلوكه ، وتدخلها في الهندسة الوراثية لإنتاج مخلوقات غاية بالتطور، كل ذلك أصبح مهدداً لكرامة الإنسان وأخلاقياته وقيمه ، هكذا، تكون الثورة المعرفية الرقمية وما أنتجته الشركات الكبرى يسير في طريق النجاح لالتهام العالم ، إذ استطاعت أن تؤكد فرض فكرها الذي يقر بأن المستقبل تتحكم فيه المعطيات الرقمية والبيانات في ذاكرة الحواسيب ليصل إلى تجريد الإنسان من قيمه وجعله مكشوفاً، لتتمكن من فصله عن ذاته وقيمه ، وليصبح مراقباً مراقبة شاملة بعد أن استطاعت من تحويله إلى رقم تستطيع توجيهه نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسيا كما يحلو لها .

غني عن البيان إن الثقافة احدى المجالات التي تلتصق مع الصراع بين الدول والحضارات ، وقد اقتصرت بالماضي على التأثير والتأثر للتقارب الجغرافي والتجاري والسفر ، ومن خلال الحروب التي تفرض نتائجها ثقافة المنتصر وطريقة عيشه بالتقليد والمحاكات ، إذ أجاد قديما ابن خلدون في مقدمته بوصفها عندما حلل وضع المغلوب بقوله (إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده ، لذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه ، حتى يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء)([١٩]) ، فواقع التاريخ يثبت أن كثيراً من الشعوب تعرضت للغزو والاحتلال، واصبحت خاضعة لهيمنة ثقافية الى حد التطهير الثقافي وتعالي الثقافة الغازية وازدرائها لكل ما يختلف مع ثقافتها ، واليوم طالعنا فرانسيس فوكويوما في كتابه (نهاية التاريخ) الذي قدم فيه نظرية تقوم على عناصر ثلاث :-[٢٠]

١- إن الديمقراطية المعاصرة بدأت بالنمو منذ بداية القرن التاسع عشر ، وانتشرت بوصفها بديلا حضاريا في أنحاء العالم وبديلا للأنظمة الدكتاتورية .

٢- إن الصراع التاريخي المتكرر بين السادة والعبيد لا يمكن أن توجد له نهاية واقعية سوى في الديمقراطيات الغربية واقتصاد السوق .

٣- إن المستقبل سيكون للديمقراطية الغربية لعجز كل المنتظمات الفكرية من منافستها .

فما تأثير ثورة المعرفة وعالمها عل الحقوق الثقافية للشعوب ؟

على الرغم من أن الحقوق الثقافية لا تحظى بذات الاهمية التي تحظى بها الحقوق الاخرى في الفهم والتبلور ، ولعل ذلك ناتج لصعوبة فهم معنى الثقافة التي بدأ الفكر الغربي

بدراستها على يد الانثروبولوجيين في سياق دراسة المجتمعات التي كانت بدائية التكوين، ومقارنتها بالمجتمعات الصناعية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، اذ قدم (أدورد تايلور ١٨٣٢-١٩١٧) تعريفه للثقافة في كتابه (الثقافة البدائية) عام ١٨٧١ بأنها (ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفنون والاخلاق والقانون والاعراف وكل المقومات الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا بالمجتمع) ([٢١]) ، وأبسط تعريف للثقافة الذي قدمه (روبرت بيرستد) وظهر في اوائل الستينات اذ عرف الثقافة (ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه او نقوم بعمله او نتملكه كأعضاء بالمجتمع) ، وكان تعريف عالم الاجتماع الكندي (غي روشيه) الأكثر عمقاً وشمولاً معتمداً في تقديمه على تعاريف سابقيه ويعرف الثقافة بأنها (مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جميع الأشخاص، وتستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معاً من اجل تكوين هؤلاء الاشخاص في جماعة خاصة ومميزة)([٢٢]).

لقد جاء في العهد الدولي للحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المادة ١٥ :-[٢٣]

١- تقر الدول الأطراف في هذا العهد بأن من حق كل فرد:

(أ) أن يشارك في الحياة الثقافية.

(ب)أن يتمتع بفوائد التقدم العلمي وبتطبيقاته.

(ج) أن يفيد من حماية المصالح المعنوية والمادية الناجمة عن أي أثر علمي أو فني أو أدبي من صنعه.

٢- تراعى الدول الأطراف في هذا العهد، في التدابير التي ستتخذها بغية ضمان الممارسة الكاملة لهذا الحق، أن تشمل تلك التدابير التي تتطلبها صيانة العلم والثقافة وإنماؤهما وإشاعتهما.

٣- تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد باحترام الحرية التي لا غنى عنها للبحث العلمي والنشاط الإبداعي.

٤- تقر الدول الأطراف في هذا العهد بالفوائد التي تجنى من تشجيع وإنماء الاتصال والتعاون الدوليين في ميداني العلم والثقافة.

ما تداعيات ثورة المعرفة على الحقوق الثقافية ؟

إن التحدي الأكبر الذي يواجه الانسانية هو مدى قدرتها للحفاظ على انسانيتها ومنتوجها الثقافي او هويتها الثقافية ، فعالم اليوم وبالاعتماد على السوق والتجارة العالمية من خلال الحواسيب ، قادر على صناعة المضامين الثقافية الكونية وما تشتمل عليه من إعلام وترفيه والتأسيس لما يعرف بالثقافة الكونية التي تنمِّط الثقافات بثقافة أُحادية ، إذ أن العملية على الرغم من صعوبتها غير ان شعوب العالم أصبحت منقسمة بين شعوب تمتلك مفاتيح التكنولوجيا تقود العولمة ، وشعوب معولمة وليس لديها سوى أن تكون مستقبلة ، فضلاً عن الترويج للصراع الحضاري ونهاية التاريخ التي تفترض سيادة ثقافة الديمقراطية الليبرالية كما عبر عنها فرانسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) معتبراً العالم مقبلاً على الثقافة الديمقراطية الغربية التي ستدفع معتنقيها لعالم التقدم والرفاه، وترمي المتخلف عنها في متاهات الصحراء ، اذ الهيمنة الثقافية والاختراق الثقافي وعولمة الثقافة يترتب عليها جميعاً المحو الثقافي، بحجة إعاقتها للتطور الحضاري العالمي ، وغني عن البيان أن هذا المحو سيتجه صوب ثقافات دول العالم الثالث ولصالح ثقافة الطرف الاقوى الذي يتحكم بمفاتيح التكنولوجيا الرقمية (الثقافة الغربية)

كم ستكون معاناة الانسان – وفقا لقول ألفن توفلر – اذا ما انتزع من بيئته الثقافية وأُلقي فجأة في بيئة حادة الاختلاف عن بيئته وبمجموعة من المحركات النفسية ليتعامل بها ، ومفاهيم مختلفة عن الزمان والمكان والعمل والحب والدين والجنس، وتم القضاء على أي أمل لعودته الى بيئة تشابه بيئته المعتاد ، وكم ستكون معاناته من التمزق مضاعفة وقاسية ، وسوف يكون الوضع أسوأ إذا ما كانت بيئته الجديدة نفسها عرضاً للتغيرات .([٢٤])

إن التحالف بين الثقافة والتقانة يمثل ذروة القدرات التي تقدمها الثورة المعرفية في الحق الثقافي بعد ان تمكنت من اختراق الحدود، انطلاقا من مصادر صناعة وترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي والهوية المؤمركة ، إذ ألغت امكانيات التثاقف الذي يعني (الانفتاح الطوعي على المنظومات الثقافية المتنوعة غبر آليات التبادل والتأثير والتأثر والتفاعل المتبادل لصالح الاستباحة الكاملة للفضاء الثقافي الي يعزز قيم الغالب ويؤدي استتباع المغلوب واكتساح دفاعاته التقليدية ، ولا تترك أمامه من خيارات خارج حدود الانعزال او الذوبان في مواجهة تكنولوجيا الاخضاع وصناعة العقول وهندسة الادراك لغرض الغلبة الحضارية وكسر الممانعة الثقافية ودفعها للانكماش والدفع للخروج من التاريخ).([٢٥])

لقد أضعفت الثورة المعرفية بعالمها الرقمي عالم المخاطبة الثقافية التقليدية عبر الكتب والصحف والمجلات والمدارس والجامعات، بعد أن أصبح في عهدة الامبراطورية السمعية البصرية بما تملكه من نفوذ وامكانات وسلطة تمكنها من تقديم مادتها الاعلامية للمتلقي، في قوالب مشوّقة يجذب الانتباه عبر تكنولوجيا الاثارة والتشويق ، إذ يقارب عتبة المتعة التي يبلغ معها خطابه الايديولوجي اهدافه الاستهلاكية ، ويسهم بالتالي في وأد حاسة النقد للمتلقي الذي يجد نفسه ـ في نهاية المطاف ـ قابلا لتمرير وتقبل جميع القيم والمواقف السلوكية دون اعتراض عقلي او ممانعة نفسية .فغدت الميديا الرقمية المؤسسة الفاعلة في عالم اليوم .

٣- الحق بالأمن

يعد الحق بالأمن من الحقوق الاساسية ، ويشتمل على حق الانسان في الحياة وحماية ماله وشخصه وعرضه وممتلكاته وعائلته وحريته ، اذ نصت عليه الشرعة الدولية ، فقد ورد في المادة (٣) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ (لكل فرد الحق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه) ، والمادة (٩) الفقرة (١) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ، الصادر في ١٦ كانون الاول ١٩٦٦ وبدأ العمل به بتاريخ ٢٣/ آذار / ١٩٧٦ والتي تنص على (لكل فرد حق الحرية وفي الأمان على شخصه ولا يجوز توقيف أحد أو اعتقاله تعسفا ، ولا يجوز حرمان أحد من حريته ، الا لأسباب ينص عليها القانون وطبقا للإجراء المطبق) .

إن التداخل الحاصل الذي بدأ في ظل الثورة الرقمية سيؤدي الى زيادة الميل الشعبوي؛ مما سيعمل على تهميش وإقصاء هويات قومية ودينية وسيعود التمييز على أساس اللون والعرق والدين والهوية ، فضلاً عن أن التفاعل بين التكنولوجيا والثقافة سيؤدي الى توسيع وتعميق حاجة الانسان للأمن في خطوة لمواجهة التغيرات السريعة في مجالات الحياة كافة ، وسينحو الخطاب السياسي منحاً قومياً ودينياً وطائفياً وعرقياً مركزا ، بعبارة أخرى سيكون الخطاب السياسي يدور حول الهويات الفرعية لتعزيز سيطرته السياسية ، الأمر الذي سينعكس سلباً على الأمن ، بسبب التركيز الهوياتي الذي سيعيد انتاج الولاءات الضيقة وتآكل قيم التسامح والاخوة والايثار .

إن شيوع الجريمة الالكترونية التي تعرف بأنها (السلوكيات والافعال الخارجة على القانون ضد الفرد أو مجموعة من الأفراد بواسطة الحاسوب او احد وسائط المعرفة التقنية

وتستهدف أي هدف مادي او معنوي يضر بالضحية)([٢٦]) ، وقد تنوعت الأفعال الجرمية الالكترونية منها الاحتيال والقرصنة واستمالة الاطفال للأنترنت ، وأنظمة الدفع على الانترنت ، وجرائم الهوية ، وسرقة الملكية .

ورب سائل يسأل ألم تنتج التكنولوجيا الرقمية مهارات ذهنية جديدة بالاستعمال المكثف لوسائل التواصل الاجتماعي، وسمحت بدخول مضامين ثقافية للإبداع والتعبير الثقافيين ؟ ، ألم تؤدي الى تغيير ادراك مستخدميها لرؤية العالم بعقل متفتح ؟ ألم توفر هذه التكنولوجيا ما سمي بـ (ديمقراطية المعارف) اذ مكنت الوصول الى مستوعبات رقمية تحمل في طياتها الكتب والمعاجم والمواقع العلمية العالمية، ووضعت المكتبات بما تخزنه من نفائس علمية في متناول كل مستخدم ؟ ألم توسع القدرة على التعبير وابداء الرأي ؟

نقول إن كل ذلك سليم ومعبر عن التطور الانساني ، ولكنها بالمقابل عملت على زعزعة القناعات والعادات والقيم والتقاليد ، وأدت الى اهتزاز المرجعيات الثقافية التقليدية ، وخلخلت أسس المواطنة لتنتج المواطن الرقمي العالمي الذي يهجر ثقافته لصالح ثقافة العصر ، واستتبع هذا التأثير على سلوكه . فلم يعد هناك تواصل وروابط اجتماعية كما كانت بالأمس ، ولم يعد الايثار والتسامح والأخوة كما كانت عليه سابقا ، ولم تعد حتى اللغة كما كانت سابقا في فعلها المؤثر ، ومن ذلك نستنتج بأن الثقافات الوطنية في صراع، وهي على المحك بين الثقافة الغربية الوافدة بما تمتلكه من إمكانات وقدرات ، والثقافة التقليدية بوسائل دفاعها التقليدية ، ولم يعد الحق بالثقافة الخصوصية واحترامها يأخذ الاعتبار، بل أصبح الحق بالثقافة كلمة فضفاضة تعني حق الانسان بتغيير ثقافته وقناعته وفقاً لما انتجته التكنولوجيا الرقمية ، ووفقا لما يريده مالكيها .

٤- الحق بالعمل

إن الثورة التكنولوجية الرقمية باتت تطرح تحديات مضافة على الانسان ، إذ لما كانت التكنولوجيا وخاصة الذكاء الاصطناعي تحل المشاكل وتحل محل البشر ، فإنها ستهدد قطاعاً كبيراً من المهن ومن فرص العمل بها ، بعد أن اكتشف الروبوت القادر على تأدية أي دور يبرمج على أساسه حتى وصل الامر الى قيامه بعمليات معقدة ومتناهية الدقة ، وبكفاءة اعلى من كفاءة الانسان وفي ذلك انتهاك لحق الانسان بالعمل بعد الاستعاضة عن الطبيب والمحامي والمهندس وعامل المطعم وغيرها بالروبوتات، ومن المتوقع سيكون ٢٠% وأكثر من المصانع بإدارة الآلات ، الذي سيسهم بزيادة الاعتماد عليها ، اذ ان

الاساليب والتقنيات الفائقة التطور ستشجع على زيادة الانتاج وستؤدي هذه الطفرات الى تقويض المعنى التقليدي للحق في العمل .الذي تم اختياره من بين الحقوق الاقتصادية التي سيتعاطى بحثنا لتحليل المؤثرات عليه .

إذ أن تراجع الطلب على العمل البشري، سيزيد من معدلات البطالة الذي سينعكس على زيادة كبيرة في نسب الفقر ، وستكون الخدمات المقدمة باهظة التكاليف مما سينعكس سلبا على الحق في الحياة والحق في الصحة التي سيكون ليس بمقدور الناس التعاطي مع تكاليفها ، ، وستحرم قطاعات واسعة من الانتفاع بالحقوق والحريات وعدم القدرة على الاستفادة من الخدمات الصحية التي يؤمنها العالم الرقمي . أو بعبارة أخرى مع ازدياد الاعتماد على هذه التقنية المتطورة التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي والانسان الآلي يزداد عدد البشر الذين يحرمون من العمل والقدرة على تأمين دخل مادي للإيفاء بمتطلبات حياتهم وسيؤثر على حقوق متصلة مثل الحق بالتعليم والحق في بيئة سكنية ملائمة تحفظ كرامة الانسان ، وهو ما سيفضي في نهاية المطاف إلى تهميشهم في صلب المجتمع وهي الظاهرة التي بدأنا نشهد إرهاصتها منذ عدة أعوام مع مطلع القرن الحادي والعشرين.

إن ما تقدم سيقوض معادلة اقتصادية مفادها ان زيادة الانتاج تؤدي الى زيادة الثروة ومعدلات النمو وسيزيد من فرص العمل نتيجة استثمار أموال الوفرة الانتاجية ، إلا أن الثورة التقنية ستزيد من الثروة والانتاج ، لكنها ستنعكس سلباً على قطاع العمل للأسباب التي ذكرناها آنفا .

لقد ذكر تقرير مجلس الاستخبارات الوطنية الامريكية (National Intelligence Council)([٢٧]) الصادر عام ٢٠١٧ ، أن هناك (تحولات كبرى ستطرأ على الاقتصاد العالمي خلال العقدين القادمين ، اذ ستتعرض الدول المتقدمة والنامية على السواء لضغوط كبيرة بشأن ايجاد فرص العمل في قطاعات مختلفة التي ستقضي عليها التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي على الرغم من ان هذه التكنولوجيا ستستمر في خدمة البشر ، الا أن تطوير تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة (ICT) ونشرها وإمكانات التصنيع الجديد (الروبوتات والتشغيل الآلي) ، والتقدم في التكنولوجيا الحيوية ، ومصادر الطاقة النظيفة غير التقليدية ستؤدي الى اضطرابات كبيرة في سوق العمل، وستكون لها تداعيات على قطاعات الصحة

والنقل والطاقة وغيرها ، وسينسحب تأثيرها على الأجور؛ إذ ستنخفض الى معدلات غير مسبوقة ، في الوقت الذي ستنشط فيها العمالة الماهرة في اختصاص التكنولوجيا الرقمية وتراجعها بالعلوم الاخرى).([٢٨])

لقد أصبح العالم أمام رهانات مختلفة ، مثلا ، من سيتحكم في مسار الانسانية الانسان ام التكنولوجيا الرقمية ؟ ما المؤشرات والدلائل على احترام حقوق الانسان وحرياته العامة ؟ وما الدلائل التي ستتخذها مفاهيم الحقوق الاساسية مثل الحرية والكرامة والأمن والحق بالحياة وفي الصحة والثقافة والتربية والحق بالخصوصية والحق بالعمل ؟ لا مناص من القول إن الاجابات على هذه الاسئلة لا تزال تتسم بالضبابية؛ لأن التكنولوجيا التي يضعون آمالهم بها على الرغم من سرعتها الفائقة ، إلا أن بشائرها قد تكون مجرد أوهام .

المطلب الثاني: نتائج الثورة المعرفية الرقمية على منظومة القيم الانسانية

تعد مقولة الشبكة الاجتماعية من المقولات التي ظهرت عام ١٩٥٤ على يد الانثروبولوجي البريطاني (جون .أ.بارنز) في مقال له تحت عنوان (العلاقات الانسانية) وضح فيه العلاقات التي كانت قائمة بين شعب جزيرة ساحلية غرب النرويج ، وإن هذه العلاقات قائمة بثلاث حقول اجتماعية ، الأول قائم على قاعدة ترابية ليطابق التنظيم السياسي ، والثاني المرتبط بالجانب الاقتصادي الصناعي ، والثالث ويكون بلا حدود مضبوطة فيعين مجموعة علاقات غير محددة بين افراد متساوين شكليا(معارف ، أصدقاء ، جيران ، علاقات قربى) وهذا الحقل هو الشبكة الاجتماعية ([٢٩]) واليوم تنسج الشبكة الاجتماعية في عالم افتراضي الذي بات يضم برامج وشبكات لها شعبية كبيرة ((فايسبوك ، تويتر ، ماسبيس، انستغرام ، بينتريست فيلك (لتقاسم الصور والفيديوهات)، تامبلر (للمدونين) ، لينكدين ، فياديو (شبكة مهنية) ، كزون (في الصين ، وهابو للمراهقين))ولكن السؤال هل تخلق هذه الشبكات روابط حقيقية بين الناس أم أنها باتت مسرحاً واسعاً للوهم ؟ ، إذ أن هذه الشبكات لا تسهم في اعلاء حقيقة الروابط الاجتماعية الانسانية ، بل هي (يوتوبيا الفضاء السبراني) وباتت تؤثر في افقار الجانب الاجتماعي وتحل محله لتؤثر فيما بعد على منظومة القيم . وقد يستوقف القارئ سؤال مفاده ما علاقة القيم والعلاقات الاجتماعية بحقوق الانسان وحرياته ؟

إن الحقوق ليست شيئاً مجرداً مستقلاً عن السلوك البشري ، بل هي كل مندمج يحدد ويبيح للسلوك الإنساني التصرف ليعكس إيمان كل إنسان بحقوقه وحريته ، إذ الفرد يوصف بأنه حامل قيمة تنعكس في علاقته بالآخرين ، وفي عمله ، وآرائه ، وتربية عائلته ، فضلا عن كون منظومة القيم هي معيار الحق والباطل، وفقاً للنسق القيمي الذي يؤمن به المجتمع ، وهذا نابع من المعاني والدلالات التي أخذتها منظومة القيم في بناء أي مجتمع .

ومن المسلمات التي لا تحتاج لعناء فكري لإثباتها أن العلم من أهم معززات القيم وتحرير الإنسان من التخلف والمرض والجهل ، وتيسير حياة الإنسان في الطبيعة ، إذ يكفي مشاهدة العمران الذي حققه والتقدم الذي أحرزه ، ولكن العلم ذاته كان سبباً في تدمير البيئة والطبيعة، وإن الفتوحات العلمية على مستوى العلوم الطبيعية أسهمت في صناعة السموم والأمراض ، ولعل ما نعاني منه من انتشار لكوفيد ١٩ خير شاهد على ذلك ، فضلا عن إسهامها في إنتاج الإمبراطوريات التوسعية بحكم ما أنتجته من أسلحة قادرة على تدمير العالم لعشرات المرات وما تمتلكه من أدوات العنف والتدمير ، إذ أصبح للمعرفة في عالم اليوم سلطة اجتماعية لما لها دور في التربية وتكوين الشخصية ، وسلطة اقتصادية توجه الدولة والمجتمع والفرد إلى الوجهة التي يعتقد أنها تناسبه بفعل مؤثرات من بات يملك المعرفة ، وسياسية من خلال عولمة القيم الثقافية والسياسية في (الديمقراطية وحقوق الإنسان) و (الحرية) .

ومن نافلة القول إن شريحة الشباب(٣٠) هي من أكثر الشرائح الاجتماعية في تعاطيها لوسائل المعرفة المعاصرة ، ومن أكثر الشرائح تأثراً بما يشاع عن خلق منظومة قيم كونية ، بدأتها العولمة وتستكملها أجهزة المحمول والحواسيب الإلكترونية من خلال الشبكة العنكبوتية (الأنترنت) الذي شكل الفضاء الرمزي لتأسيس العلاقات التي تتجاوز المكان والتواصل المباشر (وجها لوجه) ، وخلقت مجتمعات افتراضية لا تعرف النوم ، فضلاً عن مجهولية المتواصلين في فضائها ، ولعل في ذلك تكمن الخطورة بالتعاطي بين الأفراد ، قد يكون خلف الأسماء المستعارة والصفات المثبتة أجهزة ومؤسسات وضعت الخطط ورسمت الاستراتيجيات لحرب نفسية لم تعد تكلف سوى أيجاد من يتعاطف معها ، وينغمس في براثنها لتتمكن من إعادة صياغة قيم وسلوكيات تريد غرسها في هذا المجتمع ، إذ تشيع الكراهية والتطرف والانحلال والخوف ، بدلاً من قيم التسامح والأخوة والعفة والشجاعة والكرم

التي يجب أن تسود ، لتتمكن أخيراً من تفتيت المجتمع وتقطع أواصر المواطنة وتؤدي إلى الاستلاب والاغتراب التي تعزل الفرد عن مجتمعه .

ونستطيع بيان آثار التقدم المعرفي والعالم الرقمي على الانسان بالتالي :-

أولا-العزلة الاجتماعية : لقد أصبح الانسان - وخاصة الشباب - حبيس غرفته يتواصل مع المئات من أقرانه وهم ـ كحاله ـ حبيسو غرفهم، يسهر ليلا وينام نهارا معطلا كل إمكاناته ، منغمساً في عالم افتراضي يقدم له حياة سعيدة ليرتبط بأشخاص معزولين عنه جغرافياً، محولةً الشاب إلى كائن افتراضي منعدم الحاجة لكينونته التي تتطلب وعيه بمن حوله وتفاعله معهم ، ومعروف ما للعزلة من آثار نفسية تؤثر على الشباب وقيمهم . ففي الوقت الذي يفترض أن يكون الشباب مرحلة عمرية يبدأ معها استقراره الحياتي (العائلة ، التعليم ، المهنة) وتبلور وتمايز ذاته ، أصبح في ظل العالم الافتراضي أكثر عزلة وتوهاناً.

ثانيا- التأثير الفكري : إن الصلة المحكومة بالكوابل والأثير الإلكتروني حولت المبدأ إلى اللامبدأ ، وما كان يفتخر به اصبح اليوم لدى كثير من الناس يهزأ منه ، وما كان الفرد يدافع عنه غدا متنصلا منه ، وما هو يقيني بات موقع شك وريبة ، أنه العالم الذي يعاد صياغته رقمياً ليتأثر به شباب الوطن ، عالم لم يعد للصة الجغرافية والتاريخية مكاناً فيه ، بدون وطن ومقدسات يقحم في الشباب كما يقحمون فيه ، أنه عالم بدأ يتشكل بفضائه السبراني ومجاله الإعلامي وإنسانه الكوكبي المنسلخ عن قيمه كما يصفه علي حرب في كتابه (حديث النهايات) ، وغني عن البيان ما لكل ما تقدم من تأثير فكري على الشباب وتحول منظوماتهم القيمية لتبدلها بقيم دخيلة تتعارض مع المعتقد والمجتمع، وتنهج سلوكاً مغايراً بفعل هذا التأثير، و قوامه الأعجاب وتبني الأفكار الغربية والتمسك بقشور حضارتها الاستهلاكية في الملبس والمشرب والمأكل فيصبح الشاب متشيئاً أي همه في الأشياء لا في الجوهر الذي ينمي شخصيته .

ثالثا- التأثير السلوكي : كثيرة هي الألعاب التي انغمس فيها شبابنا والتي تتسم بالعنف ، وأصبحت إحدى الأمور الأساسية المحملة على الهواتف النقالة ، ومثلما قال (فاتسلاف هافيل) في كتابه (فن المستحيل) إن الحضارة في خطر داهم بعد أن وصلت المعرفة تعلمنا كيفية تدمير ذواتنا، ولم تمنحنا كيفية تفادي هذا التدمير ، بعد أن غذّت فينا واستنهضت العنف الكامن في بمواطننا لترجمته إلى فعل عنيف ، إذ أن هذه الألعاب تنمي الانتقام واستخدام أدوات العنف والتشبه بالبطل الافتراضي الخارق الذي يقول عنه (اويلفيه

روا) في كتابه (الجهاد والموت) بأنه كان سبباً في انخراط الشباب في التنظيمات الإرهابية.

رابعا- خطاب الكراهية : من القيم التي يؤكد عليها ديننا الإسلامي الحنيف المؤاخاة والتراحم والتكافل فقد قال الله في محكم كتابه (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)آل عمران/١٠٣ ، وقال جل في علاه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الحجرات /١٠ ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وعن الإمام علي عليه السلام (المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه) وقوله عليه السلام (البشر صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) .

تعج وسائل التواصل الاجتماعي بالمحادثات الدينية والسياسية والاقتصادية، ومن أكثر الوسائل شيوعاً هو (فيسبوك) ولكن الملاحظ أن أطراف داخلية وخارجية لا تريد لوطننا خيراً أشاعت نوعاً من الجدل العقيم والتهكم والسب التي انغمس الشباب فيها؛ مما أثر على إشاعة روح الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، وبدل من قيمة الأخوة والتناصح والتآلف أصبح خطاب الكراهية سائداً في معظم المحادثات .

خامسا- الفساد : في ظل سيادة سلطة العالم الافتراضي فإن الفساد باستخدامه أخذ صوراً عديدة ، منها الفساد المالي وتمرير الصفقات المشبوهة ، والفساد الأخلاقي لما تحمله الشبكة العنكبوتية من أفلام وإعلانات إباحية ، وعلاقات مشبوهة كانت سببا في تفتت الكثير من العلاقات الأسرية وفي إحصائية لحالات الطلاق تم الكشف عن ٩٠% منها يعود لأسباب التعاطي غير الأخلاقي لأحد اطراف العلاقة أو كلاهما وإقامة علاقات مشبوهة في العالم الافتراضي ، إذ الفساد تمكن من الأسرة التي هي أساس التربية ولبنة المجتمع وأساسه فما هي المنظومة القيمية التي ستربي عليها أبنائها ؟ ، فضلا عن كون الفساد نقيض قيمة وفضيلة العفة

سادساً- تقاطع الأرحام : صلة الرحم من القيم السلوكية التي تربى عليها المجتمع وتعني الإحسان إلى ذوي القربى على وفق حال الموصول بالواصل سواء بالمال والخدمة والزيارة والتماس العذر في حال الزلة ، قال الله في محكم التنزيل(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) النساء /١ ،وحث رسولنا الكريم على صلة الرحم (الرحم معلقة تقول وصل الله من وصلني وقطع الله من قطعني) ، وقال القاضي عياض (٤٧٦-٥٤٤هـ) (إن صلة

الرحم واجبة وقطعها معصية كبيرة والاحاديث تشهد على ذلك ، وان الصلة درجات بعضها ارفع من بعض أدناها ترك المجاهرة بالكلام والسلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة فمنها واجبة ومنها مستحبة ولو قصر) ، إذ من أهم الأسباب التي أدت إلى تقاطع الأرحام وقطع الصلة بينهم الانهماك غير المبرر بالعالم الافتراضي والقنوات الفضائية ، ففي حين وصفنا العالم الافتراضي بأنه عصر التواصل وتقريب المسافات ، إلا أنه عصر اللاتواصل لاعتماده على عدم المواجهة، وأصبح التواصل بمكالمة ما وتم اختصاره لرسالة نصية تحوّل البشر معها إلى أشباح حاضرين غائبين في ذات الوقت؛ مما أدى إلى تبلّد العلاقات الإنسانية . إن المخاطبة بوسائل التكنولوجيا يؤدي إلى انتهاء احساس المشاركة ، إذ الاكتفاء برسالة أو اجراء مكالمة قصيرة لا تحقق النسبة الطبيعية في الخطاب اللفظي وتلغي الجسد والمشاعر ، إذ تشير الدراسات العلمية بأن عملية التواصل تعتمد على ٣٠% لغة وخطاب و٧٠% تواصل مشاعر ولغة جسد ، وبذلك نفقد ٧٠% من التواصل مما يؤدي إلى تباعد الناس عن بعضهم وفقدان روح التعاون والتكافل والمشاركة .

سابعا – الغش : لا ينحصر الغش الذي يمارس من خلال العالم الافتراضي الغش الصناعي أو التجاري ، بل الغش الذي يشيع في عالم اليوم هو انتهاك حقوق المؤلفين الفكرية ونسبة الجهد العلمي إلى أشخاص آخرين، سواء كان بحثاً أم كتاباً أم أبداعاً أدبياً شعراً أو سردا ، أم الغش الصناعي في منتج معين ، وهذه جميعاً هددت قيمة العفة والصدق.

الخاتمة

لقد بات عالمنا اليوم يقف على معطيات ثورة نوعية بكل المعايير يقدمها الذكاء الاصطناعي ، والانترنت ، والحواسيب ، والعملة الافتراضية ، وشرائح تتسم بالذكاء يتم زرعها في جسم الإنسان ،وإذا كانت الثورات السابقة تغير بنمط الانتاج وهياكله وموازين القوى ، فإن ثورة المعرفة والعالم الافتراضي اليوم جاءت لتغير المنظور المعرفي ذاته ، اذ التحول نحو جيل جديد رقمي في اهتمامه وهويته ومواطنته ، ليقدم أرضية دولية لمجتمع ما بعد المعلوماتية . حيث يتم دمج المعلومات والآلات مع عقلية الانسان وينتج مكوناً مهماً للإقليم الذي كان يعد أحد اركان الدولة ، إذ من المعروف أن مفهوم اقليم الدولة ينسحب للأرض والبجر والفضاء الجوي الخارجي ، ليضيف عنصراً آخر للإقليم يعرف بالإقليم

الافتراضي ، الذي لا نعلم هل هو انفصال عن الواقع او هروب منه ، وهل نعيش اليوم قيامة ثقافية ، ام الانهيار التام لظرف الزمكان ، إذ لم يسبق أن حدثت ثورة او تطور تقني بهذه السرعة والانتشار التي لا تقبل الحيادية أو الانعزال الذين سيعنيان الانغلاق وتفويت فرصة استخدام ادوات ووسائل الثورة المعرفية والعالم الافتراضي الرقمي .

ومن خلال البحث توصلنا الى استنتاجات مفادها :-

١- إن ثورة المعرفة والعالم الافتراضي الرقمي جاءت على الرغم المزايا الايجابية التي تقدمها خدمةً للبشرية ، إلا أنها تعود بضرر بالغ على الانسان وحقوقه وقيمه.

٢- في ظل العالم الافتراضي والثورة المعرفية المعلوماتية ، لا يمكن الانغلاق لحماية الذات والأنا الثقافية والهوية ، لأنها خارج حدود السيطرة ، لتتماهى معها مفاهيم عدة مثل السيادة ، والوطن والمواطن والحدود .

٣- إن حقوق الإنسان والدور الذي تسهم به الثورة المعرفية الرقمية من نقل هذه الحقوق من حديث الخاصة الى فهم العامة أصبح عالمياً ، إلا أنها بذات الوقت تنتهك حقوقاً لسيقة بالإنسان وكرامته .

٤- شيوع قيم وعادات وتقاليد لا تمت الى الواقع الاجتماعي بصلة مما ستؤدي الى فقدان الهوية والثقافة، و قد تؤدي الى اغتراب الانسان واستلابه من بيئته ليكون حبيس ثقافة غريبة عليه وعلى مجتمعه .

حيال ما تقدم كيف يمكن مجابهة هذه الثورة ومعطياته الرقمية الافتراضية وعالمها السيبراني ؟

إن الاجابة تحيلنا الى جملة اجراءات منها :-

١- الاهتمام بالأسرة التي تعد اللبنة الاولى بالمجتمع وتقديم البرامج التوعوية لضبط سلوك الابناء فيما يتعلق بتعاطيهم مع العالم الافتراضي .

٢- حث المشرع القانوني على استكمال التشريعات الخاصة بحماية الخصوصية الرقمية ووضع الجزاءات الرادعة لمنتهكي الحق بالخصوصية .

٣- قيام مؤسسات المجتمع المدني بالتعاون مع الهيئات الحكومية لإطلاق برامج تثقيفية للشباب وتضمين النشاط الطلابي في المدارس والجامعات ندوات وورش عمل لكيفية الاستفادة العلمية المتوافرة على شبكة المعلومات الدولية، والابتعاد عن المواقع التي تؤدي الى انحرافهم وابتعادهم عن قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم .

المصادر والهوامش:

(١) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ ،ص ٤٦٦

(٢) افلاطون ، ثياتيتوس ، ترجمة أميرة حلمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٧ ، ٢٨٥

(٣) جميل صليبا ، المصدر نفسه ، ص ٤٦٧

(٤) جيل دولوز ، المعرفة والسلطة –مدخل لدراسة فوكو ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،١٩٨٧ ،ص ٣٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢

(٦) محمود الضبع ، الثقافة والهوية التكنولوجية ، منشورات مكتبة الاسكندرية ، شرفات ٣ ، ٢٠١٦ ص٣٥

(٧) اتيان دي لا بويسي : مفكر شاب فرنسي الجنسية ومولود في مدينة سارلات قرب بوردو ، كان والده قاضيا ووكيلا للطبقة الارستقراطية في ادارة اعمالها بعد وفاة والده كفله عمه وكان قاضيا وكاهنا ايضا وتولى تربيته وتعليمه ، درس اللسانيات ثم درس النصوص القديمة اليونانية ، اكمل دراسة الحقوق في جامعة أورليان وفي تلك المدة وضع مقالته (العبودية المختارة) توفي عام ١٩٦٣ اثر اصابته بمرض السل.

(٨) للمزيد ينظر : اتيان دو لا بويسي ، العبودية المختارة ، ترجمة صالح الأشمر ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠١٦

(٩) للمزيد ينظر : هربرت ماركوز ، الإنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشي ،منشورات دار الآداب ، بيروت ١٩٨٨

(١٠) الزا غودار ، أنا أوسيلفي أذن أنا موجود –تحولات الانا في العصر الافتراضي ، ترجمة سعيد بنكراد ،المركز الثقافي للكتاب الرياض المغرب ٢٠١٩ ، ص٢٧

(١١) للمزيد ينظر : مارك دوغان و كرستوفر لابي ، الانسان العاري – الدكتاتورية الخفية للرقمية ، ترجمة سعد بنكراد ، المركز الثقافي للكتاب الرياض المغرب ٢٠١٩

(١٢) ستازي : هو وزارة أمن الدولة في المانيا الشرقية ويعد من أعتى الأجهزة الاستخبارية انتشارا بين صفوف المواطنين الألمان الشرقيين والأكثر دموية وقد كشفت الوثائق تدل على دكتاتورية النظام الشيوعي السابق في المانيا الشرقية ، وانه اصدر تعليمات بأطلاق النار على كل من يحاول عبور جدار برلين – الفاصل بين جزئي المانيا الشرقي والغربي قبل وحدة المانيا عام ١٩٨٩ – بمن فيهم الأطفال والنساء والشيوخ .

(١٣) محمود عبدالرحمن ، نطاق الحق في الحياة الخاصة ، دار النهضة العربية القاهرة ، ١٩٩٤ ،ص١٢٣

[١٤] محمد نور الدين أفاية ، الزمن الرقمي وسؤال المؤتلف الانساني ، مجلة وجهات نظر العدد ٤٢ اغسطس ٢٠٠٩ ، دار الشروق القاهرة ، ص ٣٦٢

[١٥] فيلسوف فرنسي من عائلة متوسطة درس في السوربون وكتب في الفلسفة والادب وكان استاذا في جامعة ليون في حقل الفلسفة التي يرى فيها ابداعا للمفاهيم ويصف نفسه بانه ميتافيزيقي محض ، له العديد من المؤلفات اشهرها (التكرار والاختلاف ، التجريبية والذاتية ، فلسفة كانت النقدية ، المعرفة والسلطة)

[١٦] جيل دولوز ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٢

[١٧] للمزيد حول القانون ينظر : دروس مقتبسة من القانون العام لحماية المعطيات الشخصية للاتحاد الاوربي ، مطبوعات أكسس ناو (accessnow) ٢٠١٨ والمنشور على موقعها الرسمي

[١٨] منى الاشقر جبور ، و محمود جبور ، البيانات الشخصية والقوانين العربية والهم الامني وحقوق الافراد ، المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية بيروت ٢٠١٨ ،ص ١٤٣

[١٩] ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،دار البيان ، بيروت ١٩٧٩،ص ١٤٧

[٢٠] للمزيد ينظر : فرانسيس فوكوياما ،

[٢١] عبدالغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة – المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة ، الطبعة الثالثة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ٢٠١٦ ، ص ٢٨

[٢٢] غي روشيه ، مقدمة في علم الاجتماع العام ، ترجمة مصطفى دندشلي ، مكتبة الفقيه ، بيروت ٢٠٠٢ ص١٩٨

[٢٣] ينظر العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

[٢٤] ألفن توفلر ، صدمة المستقبل– المتغيرات في عالم الغد–، ترجمة محمد علي ناصف ، الطبعة الثانية ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة ، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٢

[٢٥] عبدالغني عماد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٦، كذلك للمزيد ينظر:

هربرت أ . شيللر. المتلاعبون بالعقول . ترجمة عبدالسلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت مارس ١٩٩٩

[٢٦] مجموعة مؤلفين ، التنظيم القانوني والجرائم الالكترونية ما بين أمن المعلومات وتقييد الحريات ، سلسلة اصدارات مركز هردو لدعم التعبير الرقمي ،رقم ٢ ، القاهرة ٢٠١٨ ، ص ٧

[٢٧] ويرمز له بـ (Nlc) وهو جهاز استخباري يشرف على عما (١٧) وكالة وهيئة استخبارية امريكية ، ويقوم بإصدار تقرير دوري كل أربع سنوات يستشرف الوضع الدولي في مختلف ميادينه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيئية والعسكرية والثقافية ، ويجري نشر التقرير مع بداية عمل أي أدارة جديدة ، ليضع تنبؤاته المستقبلية امام صانع القرار الامريكي للإفادة منه .

[٢٨] مروان قبلان ، عصر التحولات الكبرى قراءة في تقرير (اتجاهات عالمية مفارقات التقدم الانساني) بحث منشور في مجلة استشراف للدراسات المستقبلية ، المركز العربي للأبحاث ودراسات المستقبل ، قطر عدد بلا ٢٠١٧ ،ص ١٤

[٢٩] الزا غودار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤)

(٣٠) يتفق علماء الاجتماع إلى الأهمية الوظيفية للشباب ودورهم الاجتماعي ، إذ أن مرحلة الشباب تبدأ عند تأهيل المجتمع لفرد ما ليحتل مكانة اجتماعية ويوظف إمكاناته التي اكتسبها في البناء المجتمعي ، ويذهب علماء النفس إلى تحديد الشباب وفقا للتطورات والتحولات المهمة التي تتحدد بمعيار عمري بين الثامنة عشر والثلاثين .